كتاب الجدول الصفي

من البحر الوفي

لهبة الله محمد الديري

Un Ms. perdu et retrouvé.

عود صاحب هذه المجلة ان يرحب بنقد الكتبة اياه اذا كان نقدهم نزيها يرمون به الى الحقيقة وعودها ان تؤمن على اقوالهم وآرائهم الصحيحة دفعا للغلط الذي لا يخلو منه احد. وهاءنذا متصد لشيء من ذلك مستميحا الآباء عذرا لائقا به.

كتب حضرة الآب ـ في المشرق فصولا شائقة عن العراق وآثاره وغير ذلك منها مقالة « مدارس الزوراء في عهد الخلفاء (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٣٧٥) واتى فيها بذكر المدرسة البلطاسية (ص ٣٩٧) وقال انه نقل ما وجده ـ في كلشن خلفا ، لنظمي زاده وهو :

« وهذه النقول عن مباني بغداد وتاريخها نقلتها من التاريخ الصغير للمؤرخ الشهير بالخطيب. اما تاريخه الكبير ففيه من تراجم الرجال والكتب واسمائها ورواة الحديث وكتبهم ما لم يسمع به. فمما يضيق عنه نطاق الحصر من ذلك المدرسة البلطاسية فيها من الكتب ما يبلغ فهرسها ٣٦٠ مجلدا اما عدد خزانها فيبلغ ٥٠ شخصا والمدرسة المذكورة تشتمل على اربعة آلاف حجرة Casiers وراتبها ـ في اليوم عشرون الف رغيف وعشر بقرات ومائة كبش . وراتب مدرسها ـ وهو الشيخ قوام الدين ـ مائة رغيف وكبش واحد وعشرون درهما في اليوم » انتهى على ما ذكر ـ في الخطيب البغدادي وذلك في هو المذكور (ص ١٤ من نسختنا الخطية) على اننا قد بحثنا ـ في ما عدنا من الكتب وما وصلت يدنا اليه منها فلم نعثر على ذكر هذه المدرسة فلعل النظر في تاريخ الخطيب نفسه الدين الديري البغدادي يزيل الشبهة عما في هذا الكلام من الغموض أو ما يحتاج منها . هذا واننا لانعرف الى اي اسم نسبت هذه المدرسة ولا [illegible]

قبل من باحث يفيدنا عما نحن فيه من امر هذه المدرسة ومنشئها ؟ » انتهى كلام الاب .

وجاء في الحاشية لصاحب المقال ايضا عن الخطيب : « ان صاحب كلشن خلفا يريد هنا [بالخطيب] الخطيب هبة الدين الديري البغدادي (كذا) كما يتضح من بقية كلامه ونحن لم نعثر على هذا الاسم في ما لدينا من الكتب والمشهور من كتبة تاريخ بغداد باسم الخطيب البغدادي هو : ابو بكر الخطيب الحافظ احمد ... البغدادي فلا يبعد ان يكون هذا هو المطلوب هنا فذكره صاحب كلشن بلقبه هبة الدين وذكره غيره بلقب الخطيب . واما الديري البغدادي فيكون نسبة الى دير كان في بغداد او بجوار بغداد ... فلا جرم ان الخطيب نسب الى دير من ديرة بغداد فصح عليه نسبه الى دير والى بغداد معا . » انتهت الحاشية .

ليس اطلاعي على مقالة الاب بابن اليوم بل انه كان قبل نحو عقد ونصف عقد من السنين فاستوقفت المقالة نظري فرجعت الى كلشن خلفا لارى نصه التركي فوجدت ان المعرب الذي اعتمد عليه الاب لم يحسن الترجمة فعلق الامر ببالي . والذي يحدو بي الى ما اكتبه الان هو صدور « كتاب مخطوطات الموصل » ، وما يأتي هو الصحيح تعريبه نقلا عن الاصل التركي الوارد في ظهر الورقة ٧ من كلشن خلفا المطبوع ونحو تلك الصحيفة من مخطوطي :

« وعلى ما قاله الخطيب ان في زمن المتوكل كان في دار الخلافة اربعة آلاف فراش وان اما كنها العديدة واصطبلاتها المتفرقة وحواليها وحواشيها مثل مدينة شيراز (١) . وهذه النقول هي من التاريخ الصغير للمؤرخ المذكور . اما تاريخه الكبير ففيه من اسماء الرجال والعلماء ورواة الحديث الشريف ما لا يسع القلم ان يكتبه وهو يخرج عن حد الحصر وفيه من اسماء الكتب ما لم يقف عليه احد . وفي الجملة ان المدرسة الباطاسية فيها ٣٦٠ مجلدا تحوي فهارس الكتب وخمسون خادما متأهبا لخزائن الكتب وفي المدرسة اربعة آلاف حجرة

(١) جاء في مقدمة الخطيب (ص ٤٧) نقلا عن ابي نصر خواشاذة ان دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويناخمها كان ذلك مثل مدينة شيراز .

وراتبها اليومي عشرون الف رغيف وعشر بقرات منتخبات ومئة كبش مسمن ولمدرسها قوام الدين راتب قدره في كل يوم مئة رغيف وكبش وخمسون درهما . هذا ما كتبه الخطيب على وجه الاختصار (هنا بيت من الشعر) وما رواه هبة الله الديري عن الخطيب البغدادي عن وفرة المال عند الخلفاء العباسيين وعن قوة سلطنتهم وهو يستغفر عن المبالغة والنقصان والاختصار . وانا [اي مؤلف كلشن] استغفر ايضا عن المبالغة والغلو وعن املائي بالاختصار طالبا المغفرة انتهى كلام كلشن . ولا شك اني من الذين يأخذون على الخطيب هذا قوله المغالى فيه وهو شبيه بالقول عن عدد حمامات بغداد انها ستون الفا وهو عدد يرده العقل السليم .

واول ما الفت النظر اليه انه جاء في المقالة : « هبة الدين » وفي الاصول جميعها : « هبة الله » وقد رأينا ان هبة الله الديري هو غير الخطيب البغدادي فهما رجلان وليسا بواحد وتعريب المعرب الذي لم يميز فيه ذلك ادى بصاحب المقالة الى وضع ما في الحاشية من تأويل وتوفيق . ولو لفت الناقل نظره الى قبل ما عربه ببضعة وجوه لاتضح له ان اسم هبة الله الديري هو محمد فلا يمكن ان يكون هذا الديري الخطيب البغدادي الذي اسمه احمد ـ وقد مر بنا ايضا ـ ونعرف اسم تأليف الديري المذكور وهو « الجدول الصفي من البحر الوفي » ولما طرأ هناك سبب لهذا التشويش طمست الحقائق . وانك لتجد تعريب ما استندت اليه (ص ٥ من المطبوع) في ما يلي :

« وبعد ان عرفنا هبة الله محمد الديري في تاريخة الجدول الصفي من البحر الوفي ان كتاب الخطيب البغدادي المسمى ضبط عالم (اضافة تركية عن الفارسية) ... » اه

ونظرا لما تقدم لا مشاحة ان هبة الله محمد الديري متأخر عن الخطيب البغدادي فقد نقل عنه . واسم كتاب الديري يدل على انه مختصر من كتاب مطول وهل اوضح من هذا الاسم : جدول من بحر ؟ وما البحر على الظاهر إلا تاريخ الخطيب البغدادي .

❀❀❀

كان وقوفي على اسم هبة الله محمد الديري واسم كتابه في تلك السنة التي أشرت

اليها وانا اتحرى من ذاك الحين مظنة اجد فيها نسخة من الكتاب ولم أر اسمه في كشف الظنون ولقد فتشت في كثير من فهارس دور الكتب الاوربية وفي غيرها فلم اجده حتى اتحفنا الفاضل ، الغيور على الادب والعلوم والتاريخ، الدكتور داود الجلبي بكتابه « مخطوطات الموصل » وفيه (ص ١٧٣) في جملة مخطوطات المدرسة المحمدية في جامع الزيواني نسخة من « الجدول الصفي من البحر الوفي » لكنه لم يصفها . الامر الذي كنا نتمناه ولعل عذره في ذلك قوله: « ان عيون حافظي الكتب في المدارس ترمقني بلحاظ تدل على السآمة ولسان حالهم يقول : رحم الله من زال . » ا ه

طلب الاب في مقالته المذكورة ان يفيده احد عن اسم من نسبت اليه المدرسة البلطاسية وعلى بلطاس وعلى منشئها وكنت اود ان اعثر على جواب هذا السؤال الذي بقي علي ايضا غامضا ولكن بوسعي ان اقول شيئا عن هذا هو ان النسخة المطبوعة تذكر هذه المدرسة بهذا الاسم ومخطوطي يذكرها باسم المدرسة البرطاسية وبرطاس قوم عرفهم التاريخ وذكرتهم المعاجم المتخصصة لمثل هذه المباحث كمعجم البلدان ودائرة المعارف للبستاني والمعلمة الاسلامية الافرنجية التي اوردت المصادر العربية القديمة التي اعتمدت عليها ومن الغريب انها لم تذكر كتاب آثار البلاد للقزويني (ص ٣٩٠ من طبعة الافرنج) وقاموس الاعلام الذي ذكرهم بصورة برطاش (بشين منقوطة) . ومن الكتب التي كثر ذكرهم فيها كتاب تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار تاليف م . م . الرمزي المطبوع في اورنبورغ في سنة ١٩٠٨

ذكرت تلك المقالة عن المدرسة البلطاسية انها من مدارس بغداد واذ لا ذكر في كلشن عن المدينة التي كانت فيها وجل ما جاء عنها ذكرها في بحث ثروة الخلفاء ومقدرتهم في المال فيجوز انها كانت في بغداد او غيرها من المدن واظن لو انها كانت في بغداد — وهي من امهات المدارس كما يفهم من ذلك الوصف — لما اغفلت ذكرها مقدمة الخطيب وهي مطبوعة تتعاورها الايدي ولما غض النظر عن ذكرها كتاب مناقب بغداد . ومن العجب السكوت العميق عنها في كتب التاريخ والتراجم التي وقعت بيدي وهي طائفة ليست بيسيرة . ولو كانت كما

ذكرت لجامت كلمة عنها ولو في سياق الكلام كما تذكر النظامية والمستنصرية(١) ولعلنا نقف على المدينة التي كانت فيها وغير ذلك اذا تسنى لنا الاطلاع على نسخة من الجدول الصفي الذي قلنا ان نسخة منه في الموصل . والامل ان خزانة الاوقاف العامة تحقق الحصول على نسخة منه بالوقت القريب وليس ذلك عليها بعزيز .

يعقوب نعوم سركيس

اين السميع نصيحة ؟

Qui voudrait m'écouter ?

حول قصيدة (ما الشيخ في عين الفتاة) للشاعر الفيلسوف الزهاوي

ما بين دجلة والفرات ... قد مات إصلاح الفتاة
قل للزهاوي الذي ... لا زال ينفر من قساة
قد جئت تنبئ قصة ... فيها شقاء للبنات
« ليلى » أتيت بنعيها ... كانت مثال المحصنات
ليست لعمرك وحدها ... قاست تعاذيب الطغاة
الان لو فتشت في ... أسر العراق المحزنات
لوجدت آلافا فقل ... ويل لاشياخ بغاة
ان كنت تبكيها فمن ... يا شيخ يبكي الباقيات ؟
ولئن ذكرت شهيدة ... فارحم جميع البائسات
لا تجزعن لمصابها ... فلقد قضت بالمائجات
قصدت إراحة نفسها ... وتخلصت من سجن عاني
ان كنت تملك دمعة ... فارحم بها من في الحياة
كم غادة هيفاء را ... سفة بأعباء العصاة

(١) قلت هنا (٦ : ٤٢٦) ان لنائم افندي مدرس المستنصرية كتاب ملجأ القضاة واقول الان ان نسخة منه في المتحفة البريطانية (راجع الذيل على ذيل فهرست المتحف ص ٢١ عدد ٦٢٤٦ وص ٢٤ العدد المذكور ايضا) ومنه نسختان ذكرهما كتاب مخطوطات الموصل لداود الجلبي وذكر له ايضا نسختين من مجمع الضمانات .

ترى الانتحار نجاتها ... لكنها في المسلمات
لو لم يحرم ديننا ... أمثال تلك الشائنات
لرأيت دجلة حاملا ... جثث النجوم الهامدات
فيصير فينا موصلا ... ينهى الحياة الى الممات
يكفي الشيوخ شراسة ... حفظ الوداد بالافتئات
ومن الفظاظة أنهم ... هاموا بحب الكاعبات
فهم مصايد عنفوا ... ن للبنات الطاهرات
بل مهاو للشبا ... ب وغيلة للغافلات
ان جئت تنصحهم فلن ... يصغوا لقول منك آتي
أفلا يرون نصيحة ... منهم لهم بعد السبات ؟
حتى يكفوا عن زوا ... ج اليافعات المزهرات
« ليلى » ضحية والد ... لم يدر معنى للحياة
هو تاجر قد غره ... ربح رديء العاقبات
قد باع بنتا للممات ... فهاج شيخ القافيات
يا شيخ شعرك علة ... يضحي شذا ذاك الرفات
ما قلت إلّا رأفة ... بالمرضات المرهقات
قد لمت شيخا طاعنا ... نهما تزوج من فتاة
وتركت والدها فلم ... تذكر سوى أخذ الهبات
ان الغشمشم والد ... باع الفتاة بلا أناة
ويل له فيفعله ... قد جاز أفعال العتاة
لا ينتهي من غيهم ... آباء اولاء البنات
مالم يرد شمّاسهم ... بالقافيات الرادعات
أين السميع نصيحة ؟ ... فيكون من عزة الدعاة
انا بحاجة مصلح ... نهج الحياة بلا فوات
اصلاحنا أحوالنا ... يحيي منانا الميتات

الكاظمية — مصطفى جواد